

نحو منصة إلكترونية لتعليم النحو العربي
سليقيًا

Dr. Ahmed Hamouda

أستاذ مساعد

بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

Abstract

This paper offers a proposal to facilitate learning grammar and improve the skill of speaking standard Arabic, through establishing an e-learning platform that provides a virtual linguistic environment that simulates the classical Arabic model and reproduces what was known as linguistic "innate". This paper consists of an introduction, two chapters and a conclusion.

The introduction tackles the origin of the idea of research which derived from the educational history of the Arabic language.

The first chapter discusses the reasons for the urgent need to establish the proposed electronic platform through sub-points: clarifying the value of that model, evaluating the Arabic content available on the internet in this topic compared to the English content, for instance, and determining the most important target groups in this platform.

The second chapter provides an explanation of the intended e-model, a description of the appropriate teaching methodology, and a clarification of the levels and components of this model in detail. Then the study concludes the most important findings, proposals and recommendations.

Keywords: Learning Grammar, Electronic Platform, Educational Platform, Linguistic Immersion, Innate.

ملخص

تتنوع المناهج والأساليب التعليمية المتاحة لتعليم النحو لغير متقنيه، لكن ثمة صعوبة واضحة يصطدم بها ها هنا متعلم اللغة - بل يعاني منها كثير من أبناء العربية أنفسهم - هي إتقان الحديث بالفصحى حديثاً مستقيماً على مقتضى نظام العربية النحوي؛ إذ كثيراً ما لا تفلح دراسة القواعد - مهما احتف بها التمثيل والتدريب - في إكساب الدارس مهارة أدائية مرضية.

من ها هنا تحديداً انبثقت فكرة هذه الدراسة التي تقدم تصوراً مقترحاً لتيسير تعلم النحو وتحسين مهارة التحدث بالعربية، وذلك من خلال إنشاء منصة تعليمية إلكترونية توفر بيئة لغوية افتراضية تحاكي النموذج السليقي للعربية الأولى، وتمثل مدرجاً تمهيدياً ومقدمة تعليمية ضرورية ينبغي أن تسبق فرش قواعد النحو التفصيلية.

وتتكون هذه الدراسة من مدخل ومبحثين وخاتمة.

فأما المدخل فيتطرق إلى تأصيل فكرة البحث وبيان استيحائها من واقع العربية الأولى، ثم يقتضب الحديث عن إنسانية اللغة واكتسابيتها.

ويتناول المبحث الأول أسباب الحاجة الملحة إلى إنشاء النموذج الإلكتروني المقترح، من خلال نقاط فرعية تشمل: الجدوى التعليمية للنموذج، وتقييم المحتوى العربي المتاح على الشبكة في هذا الباب مقارنة بمقابلة الإنجليزي مثلاً، وتحديد أهم مشكلات المحتوى، ثم أهم الفئات والشرائح المستهدفة بنموذج المنصة.

أما المبحث الثاني فيتصدى لشرح التصور المقترح لنموذج الوسيط الإلكتروني المقصود ووصف محتواه المنشود ومنهج التعليم التراتبي المناسب، وذلك من خلال مطلبين فرعيين يتناولان مستويات هذا النموذج تفصيلاً، وفئات أوعية النصوص المقترحة مع أمثلة تفصيلية وافية. وتختتم الدراسة باستخلاص أهم ما انتهت إليه من نتائج وما تقدمه من مقترحات وتوصيات.

لا يزال تعلم النحو يمثل عبءاً كاداً ومهمةً ثقيلةً على أكثر طلابيه، وما زال كثيرٌ من المتعلمين يفتقد الاقتدار الملموس على تحقيق الصواب النحوي في كلامه مهماً تقدّمت به دراسة القواعد النحوية وكان متقناً لمسائلها، حتى ليرى ذلك في أرباب الصناعة النحوية أنفسهم؛ فتجد كثيراً من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودته أو شكوى ظلامه أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك⁽¹⁾. وتلك شكاة متجددة لا تكاد تنقضي.

وقد نهضت جهود كثير من العلماء حديثاً إلى محاولة تيسير النحو بتبسيط قواعده، أو اختصار مسائله، أو تنويع طرائق تبويبه وعرضه، أو الاهتمام بشرح مشكله، أو بنحو ذلك من صور التجديد والترغيب، حتى تشكل قسمٌ جديدٌ في المكتبة النحوية العربية نرى فيه النحو "موصوفاً بصفات شتى؛ مثل: الواضح والكامل والوافي والجديد والكافي والمصفى والمعقول والمهذب والميسر... إلخ، ومع ذلك كله ما تزال المشكلة قائمة، بل ما تزال تزداد تفاقمًا"⁽²⁾.

وأوضح ما تكون هذه الأزمة - مع اتساع رقعتها - في حالة متعلمي العربية الجدد من غير الناطقين بها أصلاً؛ حيث لا شبهة في تأثير عوامل ثقافية خاصة أو خبرات متوارثة إزاء تعلمهم نحو العربية، وعلى الرغم من تنوع المناهج والأساليب التعليمية المتاحة في هذا المجال ثمة صعوبة واضحة يجدها متعلم اللغة الجديد في إتقان الحديث بالفصحى حديثاً مستقيماً على مقتضى نظام العربية النحوي؛ إذ كثيراً

(1) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ط7، القاهرة: دار نهضة مصر، 2014م، 1147/3.

(2) محمد حماسة عبد اللطيف: قواعد النحو وتعلم العربية، بحث منشور بمجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأمير سطات بن عبد العزيز، مجلد2 عدد3، مارس 2017م، ص348.

ما لا تفلح دراسة القواعد - مهما احتفَّ بها التمثيلُ والتدريب - في إكساب الدارس مهارةً أدائيَّةً مرضيَّةً.

من هاهنا تحديداً انبثقت فكرة هذه الدراسة التي تقترحُ تصوراً مختلفاً لتيسير تعلم النحو وتحسين مهارة التحدُّث بالعربية، لا من خلال التصرف في قواعد النحو نفسها بالاختزال أو التبسيط، بل بتقديم منهجيةٍ جديدةٍ ترجعُ بسلميةً تعلم النحو العربي خطوةً إلى الوراء فتعيدُ ضبطَ رتبِ مدارج السالكين إلى اللسان العربي المبين. وتتكوَّن هذه الدراسة بعد هذا المدخل من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: السليقة العربية.. سيرة لسانية موجزة.

المبحث الثاني: بنية نموذج المنصة.

المبحث الثالث: الفئات المستفيدة بنموذج المنصة، وأهداف بنائها.

المبحث الأول: السليقة العربية.. سيرة لسانية موجزة

أشرنا آنفاً إلى أن تعليم النحو بصورته النظرية التقليدية لم يكن طريقاً نهجاً إلى اكتساب الأداء اللغوي السليم، وذلك على الرغم من المحاولات الكثيرة التي قدّمها المختصون لتيسير النحو وتنويع طرائق معالجة مسائله وقضاياها. نعم؛ لهذه الإسهامات قيمتها في تيسير دراسة القواعد النحوية، لكنها ليست سبيل اكتساب القدرة الأدائية الصحيحة، إذ لا تلازم في الحقيقة بين الأمرين، ولذلك علّق د. عبده الراجحي على محاولات إصلاح النحو بأنها "جميعاً أخطأت البداية فلم تصل إلى غاية"⁽³⁾، ذلك أن القواعد النحوية - كما قال أستاذنا د. محمد حماسة - "لا تُكوِّن المَلَكَة اللغوية، بل

(3) عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1995م، ص102.

تفسرها وتساعد على فهمها⁽⁴⁾ فهي في رتبة لاحقة على التحقيق، ولذلك يقول رحمه الله! "وقد سئل أحد أساتذة النحو مرة أمامي عن سبب ضعف الطلاب في اللغة فأجاب محتجاً: ومالنا وذلك. نحن ندرس القواعد ولا ندرس اللغة!"⁽⁵⁾.

وهذه حقيقةٌ مُقرّرةٌ من قديم، فقد بوب ابن خلدون "في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم"، وعزا ذلك إلى "أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية لا نفس كيفية. فليست نفس الملكة وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً ولا يحكمها عملاً"⁽⁶⁾، واستطرد في شرح ذلك والتمثيل له بنحو ما "لو سئل عالمٌ بالنجارة عن تفصيل الخشب فيقول: هو أن تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه وآخر قبالتك ممسكاً بطرفه الآخر وتتعاقبانه بينكما وأطرافه المضرسة المحددة تقطع ما مرّت عليه ذاهبةً وجائيةً إلى أن ينتهي إلى آخر الخشبة. وهو لو طُوب بهذا العمل أو شيءٍ منه لم يحكمه"⁽⁷⁾، إلى أن قال "وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل... وكذا نجد كثيراً ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولا شيئاً من قوانين صناعة العربية. فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية وأنها مستغنية عنها بالجملة"⁽⁸⁾.

وفي معنى هذه الفقرة الأخيرة أشار عبد القاهر سابقاً إلى "أن الاعتبار بمعرفة مدلول العبارات، لا بمعرفة العبارات؛ فإذا عرف البدوي الفرق بين أن يقول: "جاءني

(4) قواعد النحو وتعلّم العربية، ص346.

(5) قواعد النحو وتعلّم العربية، ص348.

(6) المقدمة 1147/3.

(7) السابق 1147/3.

(8) المقدمة 1147/3 - 1148.

زيدٌ ركباً، وبين قوله: "جاءني زيدٌ الراكب"، لم يضره أن لا يعرف أنه إذا قال: (راكباً)، كانت عبارة النحويين فيه أن يقولوا في (راكب): إنه حال، وإذا قال: (الراكب)، إنه صفةٌ جاريةٌ على (زيد)...⁽⁹⁾.

وبالنظر إلى هذا المعنى أيضاً عرف ابن جني النحو من قبل تعريفًا وظيفيًا فقال "هو انتحاء سمّت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره... ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم"⁽¹⁰⁾، فعبر عن حقيقة النحو بوصفه طلباً للسليقة العربية الأولى.

رحلة السليقة العربية:

كان العربي الأول يتحدث بالعربية الصحيحة النموذجية طبعاً لا تكلفاً، وهذه الحال هي التي تُسمى (السليقة) "أي اللغة التي يسترسل فيها المتكلم بها على سليقته، أي سجيته وطبيعته من غير تعمدٍ إعرابٍ ولا تجنبٍ لحن. قال: ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن سليقي أقول فأعربُ

أي أجري على طبيعتي ولا ألحن" (). والسليقي من الكلام "ما سمح به الطبع، وسهل على اللسان، من غير أن يتعهد إعرابه" ().

(9) دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، ط3، القاهرة: مطبعة المدني، وجدة: دار المدني، 1413هـ/1995م، ص418.
(10) الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط4، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت، 35/1.

وثمة روايات كثيرة مشهورة تتحدث عن غلبة هذه السليقة على طباع العرب وانقياد أسنتهم إليها، حتى ما يعرفون غيرها ولا يستطيعون الانحراف عنها وإن جهوداً⁽¹¹⁾، وقد كانوا "أشد استكاراً لزيغ الإعراب منهم لخلاف اللغة"⁽¹²⁾.

وقد ظلت هذه السليقة ساطيةً ظاهرةً إلى حين، يقول أبو بكر الزبيدي "ولم تزل العرب العاربة في جاهليتها وصدر من إسلامها تنزع في نطقها بالسجية وتكلم على السليقية، حتى فتحت المدائن ومصرت الأمصار ودونت الدواوين، فاختلط العربي بالنبطي والنقي الحجازي بالفارسي، ودخل الدين أخلط الأمم وسواقط البلدان، فوقع الخل في الكلام، وبدأ اللحن في السنة العوام"⁽¹³⁾، قال المبرد "وكان الصدر الأول من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يُعربون طبعاً، حتى خالطهم العجم ففسدت أسنتهم وتغيرت لغاتهم"⁽¹⁴⁾.

وقد كان "أول ما اختل من كلام العرب فأحوج إلى التعلم الإعراب"⁽¹⁵⁾، واختلال السليقة الإعرابية هو ما كان سبباً مباشراً في وضع علم النحو النظري؛ كما جاء في حديث أبي الأسود الدؤلي أنه فزع إلى وضع أصول القواعد النحوية "حين اضطرب كلام العرب وغلبت السليقية"، أو كما روى أبو حاتم الرازي "ذهبت السليقة، ولحن سراة الناس ووجههم"⁽¹⁶⁾. وقد جاءت روايات مشهورة بوقوع شيء من اللحن

(11) انظر في روايات ذلك: ابن جني: الخصائص 76/1 - 77 و 28/2 - 29،

(12) ابن جني: الخصائص 28/2.

(13) أبو بكر الزبيدي: لحن العوام، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1420هـ/2000م، ص59.

(14) المبرد: الفاضل، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1995م، ص4، وانظر ابن خلدون: المقدمة 1129/3.

(15) أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، د.ت، ص5.

(16) انظر ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، جدة: دار المدني، د.ت، 12/1، وأبا حاتم الرازي: كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تحقيق: حسين الهمداني وعبد الله السامرائي، ط1، صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1415هـ/1994م، 84/1.

منذ زمان النبوة⁽¹⁷⁾، لكنه كان شيئاً نادراً غير مزعج للعرب، وكأنهم وكلوا إصلاحه حينئذٍ إلى استدامة المخالطة للفصحاء وكثرة السماع الصحيح، وإنما حرك أبا الأسود بدء انتشار اللحن بعد وقبح مكانه حتى بلغ إلى القرآن الكريم، بتأثير تلك المخالطة حتى قيل إن زياد ابن أبيه قال لأبي الأسود: ... إن الظئر والحشم قد أفسدوا ألسنتهم، فلو وضعت لهم كلاماً. فوضع العربية⁽¹⁸⁾.

ومن هاهنا انداحت دائرة الدرس اللغوي فظهرت مصنفات النحو الأولى وكتب اللحن والتصويب اللغوي وانشعبت مدارس النحو ومناهج النظر في اللغة. فكانت كلها لاحقةً لمرحلة السليقة، شارحة لأصولها، متلمسة لقانونها.

ومع سرعة التغيرات الحضارية والسياسية واتساع الفتوح الإسلامية وكثرة الأمم الداخلة في الدين واختلاف ألسنتهم وألوانهم اتسع الخرق على الراقع، و"فشا اللحن بعد ذلك، وكثر بقدر اختلاط الناس وكثرتهم، ونشوء الذرية على ما فسد من لفظهم"⁽¹⁹⁾.

وإذك أحسّ اللغويون بالخطر المحدق بالسليقة اللسانية العربية، فاعتنوا بكنزهم الاستراتيجي الباقي من الأعراب الخالص والبوادي الجافية، وعدوها محميةً طبيعيةً للسليقة العربية التي توشك أن تذهب، وضربوا حولها سياجاً علمياً صارماً من قوانين الاحتجاج.

فأما على مستوى القبائل والبوادي؛ فقد اعتمدوا في الاحتجاج بقيس وتميم وأسد، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض طيء، وأهملوا من سواهم غالباً، لأن سائر القبائل كان لها اختلاط بالأمم والألسن الأخرى؛ إما بالجوار - كلخم وجذام وقضاعة

(17) انظر أبا الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص 5-6.

(18) القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة: دار الفكر

العربي، وببيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1406هـ/1982م، 51/1.

(19) أبو بكر الزبيدي: لحن العوام، ص59.

وأزد عمان وعرب البحرين - أو بكثرة الوافدين عليهم - كحاضرة الحجاز وسكان الطائف -، "وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم"⁽²⁰⁾؛ لتعرضهم لما يفسد سليقتهم من آثار الألسن الأخرى، أما أهل تلك البوادي المعتمدة فقد كانوا "أجفى وأبعد من أن يتركوا ما تمكّن بالعادة فيهم وأحرى أن يحصنوا نفوسهم عن تخيل حروف سائر الأمم وأفاظهم وألسنتهم عن النطق بها وأحرى ألا يخالطهم غيرهم من الأمم"⁽²¹⁾.

وأما على مستوى الأفراد من الأعراب فقد احتجوا بكلام الأقحاح منهم من المطبوعين ممن لم تمسّ سليقته لوثّة أو هجنة، ولا يعرف طريق اللحن ولا تسيغته أذنه، بل ولا يفهم الكلام أصلاً إذا غير عن وجهه؛ فلا يفهم مثلاً "قولهم: ذهبت إلى أبو زيد، ورأيت أبي عمرو. ومتى وجد النحويون أعرابياً يفهم هذا وأشباهه بهرجوه ولم يسمعوا منه، لأن ذلك يدل على طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة وتتقص البيان. لأن تلك اللغة إنما انقادت واستوت، واطردت وتكاملت، بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة، وفي تلك الجيرة، ولقد الخطأ من جميع الأمم"⁽²²⁾.

طلب السليقة العربية:

وإذ انتهى الأمر بالسليقة اللسانية العربية منحصرة في هذه المحمية الطبيعية اللغوية، فقد وجدنا العرب أنذ على وعي واضح بالطريقة المثالية لاكتساب مهارة الأداء اللغوي السليمة والحال هذه، فلم يعولوا في هذا الجانب على تدريس أولادهم

(20) السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، تحقيق: محمود فجال، ط1، دمشق: دار القلم، 1409هـ/1989م، ص91-92، وانظر أصل الكلام عند الفارابي في كتاب الحروف ص147.

(21) الفارابي: كتاب الحروف، تحقيق: محسن مهدي، ط2، بيروت: دار المشرق، 1990م، ص146.

(22) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط7، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1418هـ/1998م، 162/1-163.

مسائل النحو والصرف، وإنما على طلب إكسابهم الملكة السليقية التي هي طريق استقامة اللسان بالعربية. وقد سلك طالبو هذه الملكة في هذا السبيل مسلكين:

الأول: إرسال أولادهم إلى البادية ليخالطوا أهلها وينشئوا على جادة الإعراب واجتتاب اللحن؛ ومما يروى في هذا أن عبد الملك كان يألم لما يرى من لحن ابنه الوليد، و"كان يقول: أضر بنا حب الوليد. لأن الوليد كان لحنًا، وكان سليمان فصيحًا؛ لأن الوليد أقام مع أمه، وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية، فتعربوا، ثم أدبوا فتأدبوا"⁽²³⁾، ويشبه هذا ما روي أن هارون الرشيد قال "لابنه المعتصم: ما فعل وصيفك فلان؟ قال: مات فاستراح من الكتاب. قال: وبلغ منك الكتاب هذا المبلغ. والله لا حضرته أبدا. ووجهه إلى البادية فتعلم الفصاحة، وكان أميًا"⁽²⁴⁾. بل بلغ الأمر بالخلفاء أن يحرصوا على تزويج أولادهم من بنات الأعراب حتى تسري الفصاحة والإعراب إلى أعراقهم، ومن هؤلاء الأعراب "عقيل بن علفة المرّي؛ وكان أعرابيا يسكن البادية وكان يصهر إليه الخلفاء، وخطب إليه عبد الملك بن مروان ابنته لأحد أولاده فقال له: جنبني هجاء ولدك"⁽²⁵⁾، ولا يأخذك العجب من عنجهية عقيل هذا فقد ذكر ابن عبد ربه طرفا من أخباره تدل على شدة جلافته وجفاء بداوته، ولعل هذا مما رغب فيه الخلفاء⁽²⁶⁾، فلقد كان أمر اكتساب هذه السليقة مما يهّم القوم جدا، حتى كان "مما وصّى به عبد الملك بنيه قال: يا بني، إنكم تجدون من يعيركم ثيابه ودوابه، ولا تجدون من يعيركم لسانه"⁽²⁷⁾.

(23) السهيلي: الروض الأنف، تحقيق: عمر السلامي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1421هـ/2000م، 106/2، وانظر الجاحظ: البيان والتبيين 2/205، وابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق: مفيد قميحة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1404هـ، 309/2.

(24) ابن عبد ربه: السابق 2/275.

(25) ابن عبد ربه: العقد الفريد 2/63.

(26) ابن عبد ربه: السابق 2/64-65.

(27) عبد الباقي اليماني: إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تحقيق: عبد المجيد دياب، المملكة العربية السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1406هـ/1986م، ص5.

وقد كانت قريش تسلك هذا المسلك من قديمٍ لما مسَّ حاضرتها من اختلاف الطُّرَّاق في المواسم، فكانوا يحترزون لذلك بدفع أطفالهم إلى المراضع في البوادي القريبة "لينشأ الطفل في الأعراب، فيكون أفصح لسانه وأجلد لجسمه وأجدر أن لا يفارق الهيئة المعدية"⁽²⁸⁾، وقد حدث الشافعيُّ عن صباه قال "خرجتُ عن مكة فلزمتُ هذيلًا في البادية أتعلم كلامها وأخذ طبعها وكانت أفصح العرب. قال: فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم"⁽²⁹⁾.

المسلك الثاني: الاستعانة بالمؤدبين المصاحبين؛ فكانوا يهيئون لأولادهم بيئة لغوية صحية صناعية إن فاتهم إرسالهم للبيئة الأصلية (البادية)، هذه البيئة هي بيئة التأديب؛ وقد مرَّ ذكر الكتاب الذي كان يتعلَّم فيه المعتصم، ويبدو أن هذا المسلك كان تاليًا تاريخياً لمرحلة "التبدي" السابقة - وإن كان بينهما تداخل - حين ضاقت دائرة البوادي المناسبة للابتعاث، ويدل لهذا قول ابن أبي محمد اليزيدي "كان أبي يكلم الأمين والمأمون بكلام يتفصحان به ويقول: كان أولاد الخلفاء من بني أمية يُخرج بهم إلى البدو حتى يتفصحوا، وأنتم أولى بالفصاحة منهم"⁽³⁰⁾.

ولم تكن مهمة المؤدبين الرئيسية التعليم النظري، بل أن يُحيطوا المتأدِّب ويحاصروه بالعربية الفصيحة بما يحاكي نموذج البادية المتصرِّم، ولهذا نجد هارون الرشيد يُوصي خلفاً الأحمر حين دفع إليه ولده الأمين لتأديبه "أقرئه القرآن وعرفه الأخبار ورواه الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه"⁽³¹⁾.

(28) السهيلي: الروض الأنف 105/2.

(29) انظر ياقوت الحموي: معجم الأديباء، تحقيق: إحسان عباس، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414هـ/1993م، 6/2395.

(30) انظر السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مصر: مطبعة السعادة، 1371هـ/1952م، ص261.

(31) انظر ابن خلدون: المقدمة 1119/3.

وقد نشط المؤدّبون والمعلّمون في الحواضر العربية، وكانوا من أذكى الأعراب من ذوي المحصول الوافر من الرواية والشعر ومتن اللغة، الذين انتقلوا للمدن لاستثمار ندرتهم اللغوية بوصفهم بقايا حملة السليقة الخالصة، ومن أشهر هؤلاء المعلمين الأعراب أبو البيداء الرياحي وأبو مالك عمرو بن كركرة وأبو ثروان العكلي وغيرهم⁽³²⁾.

وكان معنى التعليم آنئذ كما ذكرنا تروية المتعلّمين الشعر وغريب اللغة وإيلافهم كلام الفصحاء المعربّ المبين، ولم يكن تعليمًا قاعديًا نظريًا. ويدلُّ على طبيعة اشتغال هذه الطبقة من المعلّمين وصورة محصولهم اللغوي أنّهم تركوا كثيرًا من الرسائل اللغوية التي كانت أشبه بمعجمات صغيرة قائمة على الرواية للغريب والشعر لا على محاولة التنظير والتععيد، ومن ذلك كتابا الخيل وخلق الإنسان لابن كركرة، وخلق الإنسان والإبل والنوادر لأبي زياد الكلابي، وكتاب الحشرات لأبي خيرة، والأنواء والخيل وخلق الإنسان كلها لأبي محمّد الشيباني، وخلق الفرس لأبي ثروان العكلي، وكتب "النوادر" لكلّ من أبي شنبل العكلي ودهمّج بن محرز النصري وأبي مسحل وأبي المضرحي⁽³³⁾.

* * *

ثم لما تطاول الزمان بعدُ وفسدت السليقة البدوية وانقضى عصر الاحتجاج، لم يعد لتعلّم الكلام الصحيح قومٌ ينطقونه سليقةً ولا بيئةً تختصُّ به ينشأ فيها المتعلّمون؛ يقول ابن خلدون "اعلم أن ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت، ولغة أهل الجبل كلّهم مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن"⁽³⁴⁾.

(32) انظر النديم: الفهرست، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،

1430هـ/2009م، 119/1-128.

(33) انظر السابق 119/1-135.

(34) ابن خلدون: المقدمة 1146/3.

وَتَمَّ استِعْاضَ شِدَاةِ هَذِهِ الْمَلِكَةِ اللِّسَانِيَّةِ بِتَحْفِظِ مُسْتَقِيمِ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ مِنْ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ، فَاصْطَنَعَ كُلٌّ لِنَفْسِهِ مِنْ حَافِظَتِهِ بَيْئَةً سَلِيْقِيَّةً مُصَغَّرَةً، يَفِيءُ إِلَى سَوَائِهَا فَلَا يَزَالُ يَحَاكِيهَا وَيَتَرَسَّمُهَا حَتَّى يَصِيبَ مِنْهَا طَبْعُهُ، فَكَانَ هَذَا مَسَلَكَ الْمَتَأَخِّرِينَ فِي طَلْبِ اسْتِوَاءِ السَّلِيْقَةِ الْإِعْرَابِيَّةِ وَالصَّحَةِ اللُّغَوِيَّةِ لِلْكَلامِ، وَقَدْ شَرَحَ ابْنُ خَلْدُونَ هَذَا الْمَسَلَكَ فَقَالَ "وَوَجْهُ التَّعْلِيمِ لِمَنْ يَبْتَغِي هَذِهِ الْمَلِكَةَ وَيُرُومُ تَحْصِيلَهَا أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِحَفْظِ كَلَامِهِمُ الْقَدِيمِ الْجَارِي عَلَى أَسَالِيْبِهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَكَلَامِ السَّلَفِ وَمَخَاطَبَاتِ فُحُولِ الْعَرَبِ فِي أَسْجَاعِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَكَلِمَاتِ الْمَوْلَدِينَ أَيْضًا فِي سَائِرِ فُنُونِهِمْ حَتَّى يَتَنَزَّلَ لِكثْرَةِ حَفْظِهِ لِكَلَامِهِمْ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ مَنْزِلَةً مِنْ نَشْأٍ بَيْنَهُمْ وَلَقَّنَ الْعِبَارَةَ عَنِ الْمَقَاصِدِ مِنْهُمْ"⁽³⁵⁾، فَيَقُومُ الْحَفْظُ حِينَئِذٍ مَقَامَ الْمَعَايِشَةِ وَالْمَخَالَطَةِ لِمَا يَتَضَمَّنُهُ مِنَ تَرْدَادِ الْمَحْفُوظِ فِي نَفْسِ الطَّالِبِ وَاتِّسَائِهِ بِهِ فِي عِبَارَتِهِ "فَتَحْصِلُ لَهُ هَذِهِ الْمَلِكَةُ بِهَذَا الْحَفْظِ وَالِاسْتِعْمَالِ وَيَزْدَادُ بِكَثْرَتِهِمَا رَسُوخًا وَقُوَّةً، وَيَحْتَاجُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى سَلَامَةِ الطَّبْعِ وَالتَّفْهَمِ الْحَسَنِ لِمَنَازِعِ الْعَرَبِ وَأَسَالِيْبِهِمْ فِي التَّرَاكِيْبِ وَمِرَاعَاةِ التَّطْبِيقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَقْتَضِيَّاتِ الْأَحْوَالِ... وَمَنْ حَصَلَ عَلَى هَذِهِ الْمَلِكَاتِ فَقَدْ حَصَلَ عَلَى لُغَةٍ مُضِرَّةٍ"⁽³⁶⁾، وَقَدْ أَطْنَبَ ابْنُ خَلْدُونَ كَثِيرًا فِي التَّنْبِيهِ عَلَى هَذَا الْمَسَلَكِ وَتَكَرَّرَ الْعِبَارَةُ عَنْهُ، وَأَنَّهُ قَائِمٌ عَلَى الْحَفْظِ وَالْمَحَاكَاةِ، يَقُولُ "وَتَعْلَمُ مِمَّا قَرَّرْنَا فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ حَصُولَ مَلِكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ إِنَّمَا هُوَ بِكَثْرَةِ الْحَفْظِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ حَتَّى يَرْتَسِمَ فِي خِيَالِهِ الْمَنُوَالِ الَّذِي نَسَجُوا عَلَيْهِ تَرَاكِيْبَهُمْ فَيَنْسَجُ هُوَ عَلَيْهِ وَيَتَنَزَّلُ بِذَلِكَ مَنْزِلَةً مِنْ نَشْأٍ مَعَهُمْ وَخَالَطَ عِبَارَاتِهِمْ فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى حَصَلَتْ لَهُ الْمَلِكَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ الْمَقَاصِدِ عَلَى نَحْوِ كَلَامِهِمْ"⁽³⁷⁾.

(35) السابق، الصفحة نفسها.

(36) ابن خلدون: المقدمة 3/1146-1147.

(37) السابق 3/1148-1149.

وعلى هذا القريّ الذي ذكرَ سارَ عقلاءُ الناسِ إلى يومنا هذا في طلبهم تحصيل تلك الملكة اللسانية، وإنما تتفاوت رتبهم بتفاوت محصولهم من النصوص المميزة "وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده ثمّ إجادة الملكة من بعدهما. فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الملكة الحاصلة لأنّ الطبع إنّما ينسج على منوالها وتنمو قوى الملكة بتغذيتها"⁽³⁸⁾.

أما من عدل عن هذه السبيل إلى العناية بالدراسة النظرية للنحو فحسب ومحاولة تطبيق قواعدها على مثالٍ مثالٍ - كما يشيع في مناهج تعليم النحو المعاصرة - وظن ذلك طريق تقويم اللسان على قانون الإعراب؛ فذلك الذي أبعد في طلب الملكة الإعرابية النجعة، فلم يحل لسانه من ذلك بكثيرٍ طائلٍ.

وبناء على تقرير هذه العلاقة التاريخية الثابتة بين السليقة اللغوية وصحة الأداء النحوي للغة ننتقل إذن إلى حديث النموذج الإلكتروني المقترح.

المبحث الثاني: بنية نموذج المنصة

تبيّن من المبحث السابق الارتباط الوظيفي التاريخي بين السليقة اللغوية أو الملكة اللسانية وسلامة الأداء الإعرابي، وأنّ مسالك تحصيل هذه الملكة لم يكن من بينها تعلّم قواعد النحو، "لأنّ مهمة النحو الأساسية هي تفسير سليقة المتكلم لا تكوين هذه السليقة اللغوية"⁽³⁹⁾ كما تقدّم شرحه، فطلب هذه السليقة سابق في رتبته التعليمية طلب قواعد النحو.

وتأسيساً على هذا الأصل المكين نقوم في هذا المبحث بوصف النموذج المقترح لتمكين هذه السليقة الإعرابية، من أجل تحصيل سلامة الأداء اللغوي، وتيسير

(38) السابق 1169/3.

(39) محمد حماسة عبد اللطيف: قواعد النحو وتعلّم العربيّة، ص350.

تعلّم النحو تبعاً لهذا، وذلك باستثمار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة وتوظيف إمكاناتها الهائلة لخدمة تعليم اللغة العربية من خلال منصة إلكترونية خاصة. وتنتشر اليوم منصات التعليم الإلكتروني E-learning platform العربية، بفئات وإصدارات متنوعة، وتسعى كلها لتقديم المادة العلمية والتدريبية بصورة جديدة، مستفيدة من الميزات التكنولوجية الاستثنائية التي توفرها شبكة الإنترنت، ومحاكية للمنصات التعليمية الأجنبية المشهورة، مثل: Coursera.org & Udacity.com & Edx.org & Khanacademy.org. ومن أشهر المنصات التعليمية العربية: إدراك edraak.org، ورواق rwaq.org، ونفهم nafham.com، وندرس nadrus.com، وتمكين tamkeen-edu.org.

وتقوم فكرة المنصات التعليمية الإلكترونية على تقديم ما يسمّى بالمساق أو المساقات الهائلة المفتوحة عبر الإنترنت، وهو ما يشار إليه بـ MOOCs (اختصار لـ Massive Open Online Courses)، وبهذا تحقق ضخامة المادة المقدمة وضخامة أعداد المستفيدين، في ظل الحوسبة السحابية⁽⁴⁰⁾ Cloud computing، ويُعدُّ هذا تقدماً ثورياً وتاريخياً في وسائط التعليم ونقل المعرفة عموماً.

وفي مجال تعلّم اللغات خاصة تشتهر مجموعة من المنصات والتطبيقات؛ من أشهرها: duolingo.com & lingq.com & memrise.com & polyglotclub.com & italki.com & busuu.com. لكنّ المؤسف أنّ أكثر هذه المنصات لا تخدم اللغة العربية ولا تضمّنها قائمتها التعليمية، اللهم إلا بعض المنصات ذات الطابع الاجتماعي التي تفتح الباب لروادها لتبادل دروس اللغات عموماً مجاناً أو بأجر من دون توفير

(40) يُقصد بالحوسبة السحابية: الاحتفاظ بالبيانات والمعلومات في مخزن شبكي ضخم، يُشبّه بالسحابة، يكون متاحاً بصورة دائمة، ويمكن الوصول إليه في أي وقت من أي جهاز متصل بالإنترنت (كمبيوتر، جهاز لوحي، هاتف ذكي ...) من خلال حسابات شخصية مؤمنة.

مادة محدّدة للدراسة. ونستطيع القول إنّ كل هذه المنصّات تخدم عملية تعلّم اللغة الإنجليزية في المقام الأول، يليها بعض اللغات الأخرى، وليست العربية ضمن أولوياتها أصلًا.

والذي نقدّمه هاهنا نموذجٌ مبتكرٌ لمنصة إلكترونية ضخمة لتعليم النحو العربي سليقيًا، أي عن طريق تطبيع نظام اللغة الإعرابي في نفس الدارس وإكسابه الملكة اللسانية بغير طريقة القواعد التقليدية - وقد شرحنا في المبحث الأول بإسهاب مسوغات هذا التصرف ووجه منهجيّته - وذلك بتوفير بيئة لغويّة افتراضية تحاكي النموذج السليقي للعربية الأولى، وتمثّل مدرجًا تمهيدياً ومقدّمة تعليمية ضرورية ينبغي أن تسبق فرش قواعد النحو التفصيلية.

وتقوم فكرة النموذج على تقديم محتوى نصّي إلكتروني مصمّم بمنهجية خاصة لإكساب الدارسين الملكة الإعرابية بغير الطريق المألوفة التي تعتمد على رصف القواعد المفردة وشرحها والتطبيق عليها، وإنّما من خلال السماع المنهجي الكثير لأنساق نصّية كاملة من الكلام العربي المضبوط، على ما يأتي شرحه.

وترتكز بنية هذا النموذج المقترح على مستودع رقمي ضخم من النصوص العربية المسموعة، المؤدّة بلغة سليمة وإعراب تام وجودة أداء، بحيث تصلح لبناء بيئة لغوية افتراضية نموذجية محاكية للمثال السليقي الطبيعي القديم.

وثمة شروط داخلية ينبغي توفرها في النصوص المختارة:

1. خلوها من الألفاظ الغريبة والتراكيب المعقدة، التي تحتاج تفسيراً وإيضاحاً يتقطّع معه مسار السماع، ويضطر معه المستخدم كثيراً لإيقاف المادة الصوتية soundtracks للاستفسار والاستفهام، وهذا الانقطاع يؤثر سلباً على تحصيل المتلقي

وانسجامه مع النص. وهذا ما نجدُه في مجاميع الشعر القديم وشروحها وفي كتب المقامات وأمالي القالي والفصول والغايات لأبي العلاء ونحوها. نعم؛ لن تخلو النصوص - ولا سيما القديمة منها - مما يستوقفُ شدة المتعلمين، لكن ينبغي تنبيه هؤلاء إلى عدم قطع الاستماع لأجل هذا، فليس المقام مقام شرح لغوي أو تركيبِيّ، وعلى الطالب هنا الاكتفاء بفهم السياق الكامل للنص المسموع.

2. بساطة المضمون الفكري، فإن النصوص المسموعة لو كانت تحتوي مضامين فلسفية أو علمية مما يحتاج إلى قوة تأمل وإعمال فكر فإن السامع سينشغل عقله بتأمل مضمون النص ودلالاته عن التلقي المركز للنسق الإعرابي اللفظي. ولهذا فسنستبعد من مادة المنصة عامة نصوص التراث الفلسفي والعلمي المتخصص.

وإذْ تَتَكَوَّنُ المنصّة من قسمين أو وعاءين يتوزعان النصوص المسموعة، بحسب المنهجية التسلسلية الآتية:

القسم الأول: القسم العام أو التمهيدي.

وهذا القسم يمثل المستوى الابتدائي في المنصة، ولا توجد شروط خاصة في مادة هذا القسم غير الشرطين المذكورين آنفاً.

وتحتشد في هذا القسم النصوص المسموعة الطويلة المستوفية للشروط، وأنسب فئات النصوص هاهنا - فيما أرى - النصوص الأدبية والثقافية العامة المحتوى، فيستمع الطالب هنا إلى كتب ابن المقفع وابن قتيبة والجاحظ وأبي حيان التوحيدي وابن الجوزي والثعالبي وغيرهم، وإلى مثل أمالي الشريف المرتضى والتذكرة الحمدونية ومحاضرات الراغب الأصفهاني وزهر الآداب للحصري ولباب الآداب لأسامة بن منقذ والفرج بعد الشدة للتوحي والمستطرف للأبشيهي وفاكهة الخلفاء لابن عربشاه وطوق الحمامة لابن حزم وما جمع من روايات أخبار العرب لاحقاً كجمهرة خطب العرب وقصص العرب وغيرها، ويستمع أيضاً إلى عيون الأدب الحديث مما

كُتِبَ طه حسين والعقاد والرافعي والمنفلوطي والمازني وجبران وعلي الطنطاوي ومحمود شاكر وأحمد أمين وسيد قطب وغيرهم، وما أنتجه الروائيون المستقيموا للغة كيحيى حقي وهيكل ونجيب محفوظ وغيرهم. ومن أمثلة المادة الصوتية المقصودة هنا ما تجده على هذه الروابط الشبكية:

<https://soundcloud.com/rowaah/t1nndvfsjj3z>

<https://soundcloud.com/rowaah/h6keqirciwyf>

<https://soundcloud.com/rowaah/8w7dsjzn8a2e>

ويلاحظ أننا لم نضمن الشعرَ في المحتوى المقترح، وذلك لما يغلب فيه من تغيير أنساق التراكيب العربية والتصرف فيها بالتقديم والتأخير والفصل والحذف وغيرها من العوارض التي تغلب على الشعر، وهو بهذا لا يناسب الغاية التعليمية المنشودة من نموذج المنصة، والمتمثلة في إيلاف الدارس نظام التركيب الطبيعي للكلام العربي وهيئاته الإعرابية.

وبخصوص القرآن الكريم والحديث النبوي، فإن الاستماع الكثير إليهما وتمثل نظمهما من أعظم ما ينفَع المتعلم ويُقيم لسانه، ومن المفيد جداً أن يشمل محتوى المنصة الصوتية تلاوات قرآنية مبيّنة - كتلاوات المنشاوي والحصري رحمهما الله - وقراءات لنصوص الحديث النبوي الشريف، ويكون استماعهما اختيارياً لغير المسلمين، ولهم في بقية النصوص مندوحة.

وينبغي أن نشير هاهنا إلى ضرورة كثافة المادة المعدة للاستماع، ولذا ينبغي أن يكون هذا القسم من المنصة مفتوح المصدر open source يُسمح فيه للمتطوعين بإضافة ما يستحسنون من النصوص المسموعة على أن تكون مستوفية للشروط العامة المتقدمة.

ويجترنا هذا إلى قضية مهمة؛ هي حجم المادة الصوتية المناسبة المتاحة بالفعل على الإنترنت. والواقع أن المحتوى الموجود من النصوص العربية المسموعة بكل فئاتها قليل، وإذا اشترطنا سلامة اللغة وصحة الإعراب وجودة الأداء فلن يسلم لنا إلا أقلُّ هذا القليل. وهذا مما يُثقل من مهمة إعداد المستودع الصوتي المنشود، ويلحّ في الوقت نفسه بضرورة وجوده. وسوف نعود إلى هذه القضية لاحقاً.

والمعيار المنهجيّ الحاكم لبنية هذا القسم من المنصة والموجه لخطته التفصيلية على ما تقدّم هو أن يكون وسيطاً محاكياً للبيئة اللغوية النقيّة التي نشأت وتخلّقت فيها السليقة العربيّة الأولى، وطلبها العربُ ثمّ فيما بعد حتى تقوّضت هذه البيئة الخاصة واندثرت، كما أوضحنا قبل. إنّنا في هذا القسم من المنصة نستحيي الملكة اللسانية العربية ونحاول تطبيع السليقة الإعرابية في نفوس الدارسين من خلال ما يمكننا تسميته: الانغماس اللغوي الافتراضي Virtual Linguistic Immersion.

و"الانغماس اللغوي" في مجال تعلّم اللغات يُقصد به - بمعنى واسع - غمسُ الدارس وعزله في بيئة اللغة الهدف المراد تعلّمها⁽⁴¹⁾، ذلك أنّ الملكة اللسانية السليقية "لا تنمو ولا تتطور إلّا في بيئتها الطبيعية، وهي البيئة التي لا يُسمع فيها صوت أو لغو إلا بتلك اللغة التي يُراد اكتسابها"⁽⁴²⁾، وهذه البيئة هي ما نسعى إلى توفيره افتراضياً من خلال المنصة، "يلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة

(41) انظر آمنة منّاع: الانغماس اللغوي ودوره في تحصيل الملكة اللسانية دراسة في أصوله العربية القديمة وتطبيقاته الحديثة (رسالة دكتوراه)، الجزائر: جامعة قاصدي مرباح بورقلة، 2017م، ص 67 وما بعدها، وعبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر: موفم للنشر، 2007م، 1/193.

(42) عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية 1/193.

فينطقَ بها وإن لم يكن منهم⁽⁴³⁾، وذلك بانغماسه بين نصوص العربية الفصيحة المعرّبة حتى يُمكنَ من ملكة هذا اللسان التي "إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرّره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه"⁽⁴⁴⁾.

ويمكن وصف الانغماس الذي يوفره نموذج المنصة بأنه انغماس استماعي Audio Immersion وظيفته عزل المتلقي في محمية سمعية Audio Shelter توفر له النقاء اللغوي الذي يعينه على اكتساب الملكة اللسانية؛ فإنها بطبيعتها قائمة على السماع كما تقدم، "والسمع أبو الملكات اللسانية"⁽⁴⁵⁾، وعلى هذا القوي كان "المتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أو لا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك. ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة"⁽⁴⁶⁾. وهذا بالضبط ما نسعى بنموذج هذه المنصة إلى تحقيقه لشدة اللسان العربي.

ومن خلال اقتصارنا على كتب الأدب والأخبار ونحوها - على ما تقدم - نتحقق فائدتان إضافيتان سوى ما ذكرنا، يزداد بهما نموذج المنصة قرباً من البيئة اللغوية الطبيعية الأولى؛ أولهما استعادة كلام العرب الأولين بهيئته واستحضار محاوراتهم وحكمتهم وأخبارهم، وهذا ما لا نجده في التراث العلمي المتخصص، والثانية إضفاء طابع الإمتاع الأدبي على عملية اكتساب اللغة، وهو مسار غير مألوف

(43) ابن جني: الخصائص 35/1.

(44) ابن خلدون: المقدمة 1149/3.

(45) ابن خلدون: المقدمة 1129/3.

(46) ابن خلدون: السابق 1140/3.

لمتعلم اللغة بطريق القواعد النظرية وأمتلتها الصناعية، ورحمَ اللهَ أبا عثمانَ حيث يقول "وأنا أقول: إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنق، ولا أذ في الأسماع، ولا أشد اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفق للسان، ولا أجود تقويماً للبيان، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء" (47).

القسم الثاني: القسم الخاص أو الوظيفي.

وهو يمثل المستوى المتقدم في المنصة، وهو مستوى ذو طابع تعليمي، ينتقل بالمتلقي من السماع الثقافي العام إلى سماعٍ موجهٍ موزعٍ بصورة منهجيةٍ على الوظائف والأساليب النحوية المختلفة.

وتخضع النصوص المختارة في هذا المستوى لشرطي الاختيار العامين السابقين، لكن استراتيجيّة التعليم هاهنا لا تستدعي مجرد حشد النصوص الكثيرة الصحيحة، بل تقتضي انتقاءً وظيفياً احترافياً.

في هذا المستوى تُختار النصوص المناسبة التي تتدرج بالدارس في تركيزها النحوي الوظيفي، ويتم تصنيف هذه النصوص وتوزيعها بحيث يركّز كل نص على قطاع محدد من الوظائف والأساليب النحوية؛ كـ بعض المفاعيل مثلاً أو النواسخ على تنوعها، ونحو ذلك، إلى أن ننتهي إلى شبكة كبيرة من النصوص الأدبية الموازية، تُغطّي أبواب النحو وتقدم تمهيداً ضرورياً لدراسته النظرية التقليدية.

وينبغي التنبيه إلى ما تقتضيه طبيعة هذا المنهج النصي من عدم الإيغال بالنصوص في دقائق المسائل النحوية أو الانشغال بالخلاف النحوي وتمثيله في النصوص. إننا ننشد محتوى صوتياً سلساً مبنياً على لغة قريش، أما المباحثات النحوية التفصيلية فلها مواضعٌ أخرى.

(47) الجاحظ: البيان والتبيين 1/145.

واختيار نصوص هذا المستوى يحتاج إلى انتداب طائفة من الباحثين المميزين للتقريب لكل وظيفة نحوية عن النصوص العربية المناسبة التي يكثر ورودها فيها، ثم ضمّ الأشباه والنظائر وإعداد قوائم نصية لكل وظيفة أو باب نحوي، وصولاً إلى مكتبة كبيرة من النصوص الكاملة مرتبة على الأبواب النحوية، يلي ذلك عمل فريق التسجيل الصوتي بالمنصة أو عموم المتطوعين بالتسجيل لقراءة هذه النصوص قراءة سليمة مضبوطة ثم مراجعتها وإتاحتها على المنصة.

ومن أمثلة هذا النوع من النصوص قصة (اليتيم) في كتاب العبرات للمنفلوطي، وتقع في ثلاث عشرة صفحة ونصف، وقد ورد فيها المفعول المطلق المنصوب عشرات المرّات - كما أحصى ذلك إبراهيم عبد القادر المازني في سياق نقده للمنفلوطي⁽⁴⁸⁾ - ومن أمثلة ذلك من النص: "... تَدُوبٌ بَيْنَ أَضْلَاعِهِ ذُوبًا فَيَتَهافت لها جسمه تهافت الخباء المقوض ... يَنْنُ أَنْينَ الوالهة التكلّى ... أَدْخَلَهُ مَدْخَلَةَ الصَّدِيقِ لَصَدِيقِهِ ... وقد بلغ الأمر مبلغ الجدّ ... تعالج نفسك علاجاً شديداً ... فشعرت برأسه يلتهب التهاباً ... يَمُوجُ فِيهِ بَدَنُهُ مَوْجاً ... اعْتَدَرْتُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْاعْتِدَارَ الَّذِي يُؤْثِرُهُ ... أَصْبَحْتُ مَعْنِيًّا بِأَمْرِكَ عِنَايَتِكَ بِنَفْسِكَ ... فَأَنْسَتْ بِهَا أُنْسَ الْأَخِ بِأَخْتِهِ وَأَحْبَبْتُهَا حُبًّا شَدِيدًا ..."⁽⁴⁹⁾.

ومن المتوقع ألاّ تسعفنا المدونة النصية العربية بنصوص كثيرة وكافية للسمع والتدريب الكثير على كل الوظائف النحوية، وأقترح هاهنا أن نستكتب بعض الأدباء لتحرير مقالات أدبية طويلة تراعى في بنيتها كثرة ورود الوظائف النحوية المحددة المطلوبة، حتى نصل بكمية نصوص هذا القسم من المنصة إلى المستوى المناسب،

(48) انظر الديوان في الأدب والنقد، ط4، القاهرة: دار الشعب، د.ت، ص103.

(49) انظر المنفلوطي: العبرات، بيروت: دار الهدى الوطنية، د.ت، ص7 وما بعدها، وانظر الديوان في الأدب والنقد ص104-106.

ولا يُضيرنا ما قد يكون من تكلف أسلوبِي في هذه المقالات المصنوعة - وإن كان الأديبُ المجيدُ يستطيعُ تعفيةً أثر الصنعة - فهي نصوص تعليمية فحسب.

ويجب أن تكون كلُّ نصوص هذا القسم خاصةً متاحةً على المنصة للقراءة أيضاً بصيغة إلكترونية مناسبة مع العناية بضبطها بالشكل - ضبطاً إعرابياً غير كثيف - لأن المتعلِّم يحتاج إلى النظر فيها في أثناء الاستماع، وفي فواصل التدريب في أقسام المنصة الأخرى.

نعم، نحتاجُ إلى توفر كل نصوص المستودع الصوتي للمنصة مكتوبةً مضبوطةً بالشكل الإعرابي، لكن احتياجنا في هذا القسم الوظيفي التعليمي أظهر؛ لأن الدارس هنا يلزمه أن يقضي وقتاً مخصصاً بصورة منهجية في التدريب على ما سمعه من خلال المنتدى المخصص أو غرف المحادثة الإلكترونية على المنصة.

فإذا أتمَّ الدارسُ هذا المستوى المتقدمِّ بمراحله التفصيلية، ومرَّنت أذنه على استماع الكلامِ المعربِ على هيئته الصحيحة وبالنهجية المذكورة = تحقَّقت له فائدتان جليتان:

الأولى: جريان سليقته بالإعراب واكتسابه ملكة اللسان العربي، ويتفاوت ذلك بقدر طول ملازمته وانغماسه في البيئة السليقية الافتراضية التي وفرَّتها له المنصة، لكنه لن يعدم أن يجد تحسناً ملحوظاً في أدائه اللغوي بقدر ما حصل ووعى.

الثانية: سهولة الانتقال إلى الدراسة العلمية النظرية للنحو العربي وإتقانها وسرعة تحصيلها والالتذاذ بها من غير استئقال أو التواء، بعد أن يطمئن إلى جودة أدائه اللغوي وقرار الملكة اللسانية الإعرابية في نفسه. والحال يشبه في يسره الانتقال إلى دراسة أحكام تجويد القرآن بعد إتقان الأداء به. ولا بأس أن يوزع بعض نصوص هذا القسم فتتخلَّل به دراسة القواعد ليكون تمهيداً إضافياً لكل مرحلة منها.

الأقسام المساندة في المنصة:

تحتاج المنصة إلى وجود أقسام متنوعة أخرى؛ فنية وإعلامية وغير ذلك، لكننا نركز هنا على ما يدعم عمل القسمين الرئيسيين السابقين بصورة مباشرة، وسنشير هنا إلى: المنتدى، والمقراة.

أولاً: المنتدى.

وهو ساحة للتواصل بين رواد المنصة، والنقاش بخصوص مسار التعلم على المنصة، وتبادل الأفكار والتجارب والخبرات لتحقيق الاستفادة المتبادلة والتحفيز المستمر في مناخ جماعي صحي.

ومن خلال المشاركات في المنتدى يتعرفُ المشرفون مشكلات الدارسين واحتياجاتهم، ويتلقون اقتراحاتهم وأفكارهم وي طرحونها للحوار والمشورة، ويلاحظون الفروق الفردية والاهتمامات المشتركة وغير ذلك من المؤشرات التي تساعد في وضع خطط التطوير ومعالجة سلبيات الأداء.

ويمثل المنتدى أيضاً وسيطاً مثاليًا للتواصل بين المتعلمين والمعلمين المتطوعين - أو المدفوعي الأجر، بحسب سياسات المنصة التفصيلية - لتنسيق عملية التدريب من خلال الغرف الإلكترونية المخصصة، وفي نطاق الأدوار المحددة للمعلمين، كما سيأتي.

ثانياً: المقراة.

غرف المحادثة Chatting Rooms مكوّن أساسي في كثير من المنصات التعليمية الإلكترونية، ويقوم فيها المعلم بدوره المحدد بحسب نظام المنصة، وهو أن

يستمتع إلى قراءات المشاركين ويصحح أخطاءهم، بما يشبه تماماً طريقة مقارئ القرآن الكريم، ولا بأس أن يقرأ المعلم هاهنا بعض النصوص ويردها الدارس وراءه. ويمكننا أن نسمي هذه الغرف على هذه المنصة خاصة: المقرأة.

وهنا تبرز أهمية المكتبة الإلكترونية الموازية، فبعد أن يستمع الدارس إلى طائفة معينة من النصوص يدلف إلى غرفة المحادثة بحسب الموعد المنسق مع المعلم أو المدرب لكي يتدرب على القراءة الصحيحة لما سمعه، وهنا لا بد من توفر نسخة إلكترونية مضبوطة لتلك النصوص المسموعة يستعين بها المدرب والمتدرب جميعاً في هذه القراءة التصحيحية. وقد لا يحتاج المتدرب إلى أي تنسيق، فمن الممكن أن يدخل في أي وقت من اليوم وهنا سيجد ولا بد أحداً من المعلمين أو المتطوعين مستعداً للتعاون، ولأجل هذا يحتاج إلى تمييز حسابات الدخول إلى المنتدى والمقرأة ليتبين المدرب من الطالب، ثم يميز كذلك المدربون المتاحون وقت دخول الطالب بلون خاص، على قانون برامج التواصل عموماً. ويمكن الاسترشاد في هذا الجانب بنظام مقارئ القرآن الإلكترونية المنتشرة حديثاً، انظر مثلاً:

<https://maqraa.com/ar/help/>

ووظيفة المعلم هنا تصحيح الأداء من غير تطرق إلى شرح القواعد أو بسط العِلل، وإنما المطلوب فحسب أن يردّ القارئ إلى جادة الصواب إذا لحن، فيلقنه الأداء السليم ولا يزال يستعيده حتى يضبطه، أما الشرح النظري لقواعد النحو فمرحلة لاحقة لكل هذا كما أسلفنا.

المبحث الثالث: الفئات المستفيدة بنموذج المنصة، وأهداف بنائها

تتجه هذه المنصة بمحتواها الضخم وخطتها الطمّوح مستهدفةً شرائح وفئات متنوعة من المستخدمين، ممن يرغبون في اكتساب الملكة السليقية العربية ويريدون تعلم النحو العربي. هذه الفئات هي:

أولاً: الناطقون بغير العربية.

كان تعلم الأعاجم العربية في القرون الأولى يسيراً، يحققه مجرد الاختلاط بالعرب، ولم تكن ثم حاجة إلى جهودٍ مختصة بتعليم الأعاجم العربية؛ وذلك لتوفر هذه السبيل السهلة إلى اكتساب الملكة الإعرابية؛ وثم يقول ابن خلدون "فإن عرض لك ما تسمعه من أن سيبويه والفارسي والزمخشري وأمثالهم من فرسان الكلام كانوا أعاجما مع حصول هذه الملكة لهم فاعلم أن أولئك القوم الذين تسمع عنهم إنما كانوا عجمًا في نسبهم فقط، وأما المربي والنشأة فكانت بين أهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا شيء وراءها وكأنهم في أول نشأتهم من العرب الذين نشئوا في أجيالهم حتى أدركوا كنه اللغة وصاروا من أهلها"⁽⁵⁰⁾.

ونموذج هذه المنصة يحاول تقديم بيئة افتراضية محاكية لهذا النموذج الطبيعي الأصلي بحيث يتمكن غير العربي من الانغماس بين نصوص العربية لتحصيل ملكتها اللسانية. ولا بد أن يسبق هذا الانغماس أية خطة لتعليم النحو ونظام التراكيب العربية للناطقين بغيرها، وما زلت أعجب من عجلة معاهد تعليم غير الناطقين بالعربية إلى

(50) ابن خلدون: المقدمة 1151/3، وانظر أيضا 1123/3.

تدريس القواعد - بل والمتون النحويّة أحياناً - من غير تمهيدٍ وافٍ من الانغماس اللغوي.

وهذا الأصل المنهجي الذي تقوم عليه فكرة المنصّة هو نفس ما تُنوّه به الأطر المرجعية العالمية لتعليم اللغات الأجنبية؛ فالإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات (CEFR) يشير في هذا السياق إلى أنّ "أهم ما يمكن أن يفعله معلم اللغة هو إيجاد أغنى بيئة لغوية ممكنة يتم فيها التعلّم"⁽⁵¹⁾، ومن الإجراءات التي يقترحها لتحقيق الانغماس اللغوي المثمر المقابلة المباشرة مع المتحدثين الأصليين والاستماع إلى المحادثات والتسجيلات وقراءة النصوص الأصلية ونحو ذلك.⁽⁵²⁾

وكذلك تُثمن معايير المجلس الأمريكي لتعليم اللغات الأجنبية (ACTFL) دور البرامج الانغماسيّة في تعليم اللغة الثانية، وتحتّ على تفعيلها، وتذكر في طليعة أهمّ عوامل نجاح هذه الاستراتيجية "توفير بيئة غنية باللغة الهدف".⁽⁵³⁾

(51) أبو عمشة، خالد حسين: الانغماس اللغوي في الأطر المرجعية العالمية للغات ونظريات اكتساب اللغة الثانية، ضمن كتاب: الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بين النظرية والتطبيق، لمجموعة مؤلفين، ط1، الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، 1440هـ/2019م، ص61. وانظر: الإطار المرجعي الأوروبي المشترك للغات، ترجمة علا عادل عبد الجواد وآخرين، القاهرة: دار إلياس العصريّة، 2008م.

(52) انظر أبو عمشة، خالد حسين: الانغماس اللغوي في الأطر المرجعية العالمية للغات ونظريات اكتساب اللغة الثانية ص62-63.

(53) انظر السابق ص59-61، وانظر موقع ACTFL الإلكتروني:

<https://www.actfl.org/publications/guidelines-and-manuals/actfl-proficiency-guidelines-2012/arabic/>

ثانياً: المتعثرّون من ناطقي العربية.

وإلى هذه الفئة ينتمي أكثر أبناء العربية في الوقت الحاضر، فقد طغت العاميات وزادت ابتعاداً عن الأصل الفصح بما لا يزال يصيبها من تأثر باللغات الأجنبية حتى في الأساليب والتراكيب، وزادت سيطرتها على المتحدث العربي بغلبتها على وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي وغيرها، حتى انزوت الفصحى فلا تكاد ترى عربياً لا يلحن. وهذا حديث ذو شجون.

وبيئة هذه المنصة تحاول استعادة هؤلاء إلى محضن عربي فصيح، وأن تأخذ بأيديهم إلى بيئة السليقة الإعرابية وترتاض ألسنتهم على توقي اللحن وتوخي صواب الإعراب، ولا تزال بهم حتى تحيي في نفوسهم سليقة العربي وأنفته من اللحن واستبشاعه إياه على سنن الأولين؛ فقد كان عبد الملك يقول "اللحن هجنة على الشريف"، ويقول "اللحن في المنطق أفح من الجدرى في الوجه"⁽⁵⁴⁾، وكان عمر بن عبد العزيز يقول "أكاد أضرس إذا سمعت اللحن"⁽⁵⁵⁾، "ولحن محمد بن سعد بن أبي وقاص في بعض الأوقات لحنة فقال: حس، إنني لأجد حرارتها في حلقي"⁽⁵⁶⁾.

(54) انظر الجاحظ: البيان والتبيين 2/216، وأبا سعد الآبي: نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ/2004م، 3/36، والزمخشري: ربيع الأبرار، تحقيق: عبد أ. علي مهنا، ط1، بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1412هـ/1992م، 4/53.

(55) ابن الأنباري: الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية، 1407هـ/1987م، ص245. والضرس ما يعرض للإنسان من أكل الشيء الحامض (انظر اللسان: ضرس).

(56) ابن الأنباري: الأضداد، ص245، و(حس) اسم فعل معناه: أتألم.

وَمَنْ أَرَادَ مِنْ هَذِهِ الْفَتَى أَنْ يَبْتَدِيَ تَعْلَمَ النُّحُو فَإِنَّ عَامَّةَ النَّاصِحِيهِ يَوْصُونَ بِشَيْءٍ مِنْ مَخْتَصِرَاتِ الْمُتُونِ كَالْمَقْدَمَةِ الْأَجْرُومِيَّةِ وَنَحْوَهَا، وَبَعْدَهَا يَتَرَقَّى الدَّارِسُ فِي مَدَارِجِ كِتَابِ النُّحُو، وَذَلِكَ عَلَى رَسْمِ سَائِرِ عُلُومِ النَّظَرِ، وَمَنْ أَخَذَ بِوَصَايِهِمْ هَذِهِ فَقَدْ أَبْعَدَ النُّجْعَةَ، وَكَمْ مِمَّنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ فَصَدَّ عَنِ النُّحُو جُمْلَةً وَانْقَطَعَ بِهِ مِنْ قَرِيبٍ، وَمَا مَثَلُهُ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ⁽⁵⁷⁾:

إِذَا سَلَكَتَ لِلغُورِ مِنْ رَمَلٍ عَالِجٍ فقولاً لها: ليس الطريقُ هُنَاكَ

وَأَمَّا سَبِيلُهُ أَنْ يَبْدَأَ بِمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ اسْتِيفَازِ السَّلِيْقَةِ وَتَقْوِيمِ الْمَلَكَةِ، وَلَا عَلَيْهِ بَعْدُ أَنْ يَضْرِبَ فِي أَيِّ أَوْدِيَةِ النَّحَاةِ شَاءَ! وَسَيَجِدُ ثَمَرَةَ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْأُولَى فِي سُرْعَةِ تَحْصِيلِهِ عِلْمَ النُّحُو وَجُودَةِ فَهْمِهِ وَاسْتِيعَابِهِ.

ثالثاً: الفصحاء بالعربية.

هَذِهِ الْمَنْصَّةُ لَهُؤْلَاءِ رَبِيعٌ يَفِيئُونَ إِلَيْهِ لِيَلْتَذُوا بِسَمَاعِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ وَيُطْعَمُوا أَسْمَاعَهُمْ أَطْيَابَ الْكَلَامِ، فَارْتِيَادِ الْمَنْصَّةِ لَهُمْ شَهْوَةٌ وَمَتْعَةٌ، شَأْنُ أَجْدَادِهِمْ مِنَ الْفَصْحَاءِ؛ يَقُولُ الْجَا حِظُّ "لَيْسَ فِي الْأَرْضِ كَلَامٌ هُوَ أَمْتَعٌ وَلَا أَنْقُ، وَلَا أَلْذُّ فِي الْأَسْمَاعِ، وَلَا أَشَدُّ اتِّصَالًا بِالْعُقُولِ السَّلِيمَةِ، وَلَا أَفْتَقُ لِلْسَانَ، وَلَا أَجُودُ تَقْوِيمًا لِلْبَيَانِ، مِنْ طَوْلِ اسْتِمَاعِ حَدِيثِ الْأَعْرَابِ الْعُقْلَاءِ الْفَصْحَاءِ، وَالْعُلَمَاءِ الْبَلْغَاءِ"⁽⁵⁸⁾.

وهؤلاء يستفيدون من هذه المنصة أيضاً تمريناً قرائحهم السليمة وإراحة أسماعهم من أوضاع اللحن، ويتعرفون على منتدى المنصة إلى نظرائهم من الأدباء

(57) حسان بن ثابت الأنصاري: ديوانه، تحقيق: عبد أ. علي مهنا، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1414هـ/1994م، ص176.

(58) الجاحظ: البيان والتبيين 1/145.

والفصحاء ويطارحونهم الأشعار والأخبار، ويحظون بنمطٍ من التواصل الاجتماعي النخبوي.

رابعاً: الأطفال.

وقد أحرنا الحديث عنهم لخطره وطول ذيله، فإنّ تعليم الأطفال العربية الصحيحة في سنّهم الأولى أشبه في هذا الزمان بالفريضة الغائبة التي يغفل عنها عامة الناس، ثم تأتي مناهج التعليم النظامي فتقضي على ما بقي في نفوسهم من ميل إلى العربية أو قبول لها، فلا يشبُّ هؤلاء إلّا على استصعاب النحو العربي واستتقاله، وإنما الصعوبة والتقل في تلك المناهج النظامية العقيمة لا في لغة الشعر والأدب والجمال.

والصواب أن نَعَجَل إلى أطفالنا ببرنامج من الغمس اللغوي المبكر في بيئة لغوية صحيّة ينشئون فيها على سماع الكلام المعرّب الفصيح ومحاكاته حتى تستقيم على هذا القرى السنّهم، على نحو ما مرّ بنا من غمس العرب أولادهم في البوادي العربيّة.

وثمة تجارب عربيّة معاصرة في هذا السياق؛ أشهرها تجربة الدكتور عبد الله الدنان الذي بدأ بأولاده فاصطنع دور المؤدّب المصاحب الذي لا يتحدّث مع الطفل بغير الفصحى السليمة، وعلى هذا نشأ أطفاله متقنين للعربية الفصيحة المعرّبة على نحو ما كان ينشأ أولاد العرب قديماً. (59)

(59) شاهد شرحه لهذه التجربة الأسرية على هذا الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=fyo7euFw_a4

وانطلق من هذه التجربة المنزلية الصغيرة إلى التعميد لفكرته والدعوة إليها، فأنشأ في الكويت (دار الحضانة العربية) عام 1988م، ثم أسس عام 1992م (روضة الأزهار العربية) في دمشق، ثم ذاع صيتُ طريقته التعليمية الجديدة هذه واتسع نطاقها واستخدمتها كثير من المدارس، وتبنّتها وزارة التعليم العُمانية سنة 2008م للتطبيق في مدارسها الابتدائية، ووضع الدكتور الدنان لذلك برنامجاً تدريبياً لتأهيل المعلمين بهذه الطريقة، وقد دون تجربته هذه في كتيب صغير بعنوان "نظرية تعليم اللغة العربية الفصحى بالفطرة والممارسة"⁽⁶⁰⁾.

ومن التجارب المشهورة كذلك تجربة استراتيجية (انغماسية ألفا) التي وضعها الأستاذ علي الأربعين، وطبقها في منشأته (مؤسسة أربعين للتربية والتعليم الخصوصي) بالمغرب من سنة 2009م استرشاداً بتجربة الدنان، لكنه طورها وأضاف إليها بعض ملامح التعلُّم النشط، ويستهدف بها كذلك فئة الأطفال، وتحاول المؤسسة أن توفر لهم بيئة لغوية صحيحة لتعلُّم الفصحى سليقياً.⁽⁶¹⁾

(60) من نشر المنتدى الإسلامي بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1435هـ/2014م، وانظر آمنة مناع: الانغماس اللغوي ودوره في تحصيل الملكة اللسانية، ص 243 وما بعدها، وآمنة شنتوف: تجربة عبد الله الدنان في الانغماس اللغوي، ضمن كتاب: الانغماس اللغوي بين التنظير والتطبيق، الجزائر: منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2018م، ص 165 وما بعدها.

(61) انظر عن تجربة علي الأربعين: آمنة مناع: الانغماس اللغوي ودوره في تحصيل الملكة اللسانية، ص 264 وما بعدها، وعياض سليمة وخراب سعاد: الانغماس اللغوي ودوره في تعليم العربية للناطقين بها وغير الناطقين، ضمن كتاب: الانغماس اللغوي بين التنظير والتطبيق، ص 466 وما بعدها. وانظر موقع انغماسية ألفا على الشبكة العنكبوتية:

وهذه التجارب وما يشبهها خطوات حقيقية في الاتجاه الصحيح لتعليم اللغة للناشئة، وقد حققت في محيطها المحلي نجاحاً واضحاً ملموساً، لا بد أن نشيد به وننوه بذكره.

لكن يبقى العائق الأكبر هو تعميم هذه التجارب وإتاحتها للتداول والتنفيذ على نطاق واسع، وهذا ما تجاوزته هذه المنصة من خلال نموذجها السحابي الصالح للعولمة، فهي توفر البيئة اللغوية السليقية افتراضياً من خلال وسائط سحابية يمكن الوصول إليها لأي مستفيد في أي بقعة من العالم.

ويمكن الاستفادة في بنية المنصة ومستودعها الرقمي من منجز هذه التجارب الموقفة واستعارة بعض المواد اللغوية المناسبة للأطفال والتي لاقت قبولاً حسناً لتضمينها في مكتبة المنصة.

ونشير هنا إلى أهمية أن تحتوي المنصة ركناً خاصاً بمكتبة صوتية - ومكتوبة أيضاً - للأطفال، تضم عيون كتب أدب الأطفال الفصيح قديماً وحديثاً؛ ككليلة ودمنة لابن المقفع وكتب كامل كيلاني وأحمد نجيب وسلسلة المكتبة الخضراء التي أخرجتها دار المعارف المصرية وغيرها مما يرشحه المختصون، وكذلك ما كتب من شعر وأناشيد جيدة للأطفال؛ كما كتبه أحمد شوقي وسليمان العيسى وأحمد بخيت وغيرهم من جيد ما أنتج للأطفال. ويمكن الاستعانة في تصنيف كل هذه النصوص وإخراجها بالمعايير التعليمية والتربوية المناسبة كمعايير هنادا طه لتصنيف النصوص العربية الموجهة للطفل⁽⁶²⁾.

(62) انظر هذه المعايير على هذا الرابط:

<https://www.ireadarabic.com/uploads/rubrics.pdf> بتاريخ 2019/4/27م

ولا يفوتنا هنا التنويه بالتجربة التي تقدّمها منصة (أقرأ بالعربيّة) القرائية الموجهة للأطفال، والتي تحتوي عددًا لا بأس به من النصوص المقرّوءة والمسموعة مرتّبة على مستويات متدرّجة، وإن كانت سياسة المنصة ثقافيّة إثرائية غير انغماسيّة، وهي إلى ذلك غير مجانية.

أهداف بناء المنصة:

تُلحُّ الحاجة إلى إنشاء نموذج المنصة الإلكترونيّة الذي نقترح في هذه الدراسة، وذلك لتحقيق الأهداف الاستراتيجية الآتية:

- وضع حلّ لمشكلة تعليم النحو العربي التي ما زالت قائمة على الرغم من كثرة مقترحات التجديد وتجارب تيسير النحو، وهذا ما حفّزنا ابتداءً إلى البحث عن استراتيجية ثوريّة مختلفة تتجاوز إخفاقات التجارب التقليدية المطروقة، فبالرغم من أن تجارب الماضي تعلّمنا باستمرار أن جميع الغربان سوداء يجب علينا ألا نوقف البحث عن الغرب الأبيض⁽⁶³⁾.

وقد قامت فكرة هذه المنصة على تغيير دفة النظر إلى الاتجاه الصحيح؛ فاستلهمت تجربة القدماء في تعلّم اللسان العربي، لتقدّم شراباً قديماً في كأس جديدة، وتقدّم حلاً مثاليّاً لهذه المشكلة اللغوية المزمّنة؛ فبدلاً من الإلحاح على قواعد النحو نفسها بالشرح والتبسيط تتّجه استراتيجية المنصة إلى المتلقّي نفسه أولاً لتعيّنه على اكتساب الملمّة الإعرابيّة الضابطة للسان على منهاج القدماء في اكتساب السليقة.

- إيجاد مدونة صوتية قوية للنصوص العربية الفصيحة، لقلة المحتوى الموجود من النصوص الصوتية على الشبكة مع عشوائيته وانخفاض جودته؛ وهذا ما نتبينه

(63) محمد حماسة عبد اللطيف: قواعد النحو وتعلّم العربيّة، ص 361.

بتصفح المحتوى الموجود على الموقع السحابي الأشهر Sound Cloud أو القنوات والتطبيقات المختصة بالكتب الصوتية مثل: اقرأ لي soundcloud.com/iqraaly، ورواة soundcloud.com/rowaah، وكتاب صوتي kitabsawti.com، والراوي alrawi.com، واسمع كتاب esma3kitaab.com، وضاد dhad.sa. ومعظم هذه التجارب متاحة على هيئة تطبيقات هاتفيّة.

وأهم ما يعيب معظم المحتوى الصوتي المتاح سحابياً من خلال التطبيقات السابقة وغيرها - إضافةً إلى قلته وعشوائية تنسيقه - عدم توفر الأداء اللغوي الإعرابي الصحيح الذي يمكن أن يُستثمر تعليمياً على الوجه الذي تطمحُ إليه منصّتا. نعم، هناك بعض النصوص القليلة المقروءة بعناية واحترافية - وخاصة من تسجيلات قناة (رواة)، وهي قناة حديثة أنشأها بعض خريجي دار العلوم - ويمكن الاستعانة بها وبالمسجلين أنفسهم في تغذية المستودع الصوتي للمنصة، الذي نطمح أن يكون سجلاً نوعياً ضخماً للنصوص العربيّة.

- توظيف الإمكانيات التقنية الهائلة للحوسبة السحابية الحديثة Cloud computing واستثمارها في تيسير تعليم النحو العربي. وذلك بما توفره الحوسبة السحابية من خدمات إنترنت متطورة منخفضة التكلفة نسبياً، واستخدام آمن للبيانات، ومساحات كبيرة للتخزين، واستدامة للخدمة الشبكية وعمليات صيانتها وتطويرها، وسهولة في الوصول إلى المحتوى من أي مكان من أي نظام تشغيل وأي متصفح وأي جهاز متصل بالإنترنت، والسرعة الفائقة في المعالجة، والاستفادة من البنية التحتية الضخمة لمستضيفي الخدمة السحابية من الشركات العالميّة العملاقة⁽⁶⁴⁾.

(64) انظر: أبو سعدة، أحمد أمين: الحوسبة السحابية حلم المكتبات ودور الحكومات، ضمن أبحاث مؤتمر (الحكومة والمجتمع والتكامل في بناء مجتمعات المعرفة العربية) المنعقد بالدوحة، 2012م،

- استحياء بيئة السليقة الإعرابية النموذجية المندثرة، وإعادة تمثيلها افتراضياً بهيئتها، بما يحمله هذا الصنيع من قيمة قومية وإحياء تراثي، واستحضار لمكون معرفي تاريخي من مؤسسات الحضارة العربية، وبناء مثل هذا النموذج الثقافي مفتقد غائب عن الساحة اللغوية المعاصرة.

- توفير بيئة افتراضية مثالية للانغماس اللغوي التعليمي، وإتاحتها سحابياً لأي متعلم للعربية، بما يمثله هذا من تطور ثوري في منهجية تعليم اللغة.

- تقديم مهاد من الاستماع المنهجي يهيئ للدراسة النظرية لأجرومية اللغة العربية بتمرين ملكة المتلقي على نظام اللغة الإعرابي، ويمثل مرحلة تأسيسية ضرورية لا بد أن تعتمد في مناهج تدريس النحو العربي في المؤسسات المختلفة.

- تحقيق وظيفة ثقافية إثرائية لعموم مستخدمي المنصة من خلال المضامين المفيدة للمحتوى النصي المختار؛ ولهذا لا بد أن يُراعى في انتقاء النصوص لمستودع المنصة الصوتي أن تكون من الأدب الرفيع ذي المضمون المعرفي والثقافي الغني، لا مجرد الصلاحية للتمثيل النحوي الوظيفي.

- تحقيق الإمتاع والجذب للدارس من خلال المكون الفني والأدبي للنصوص المختارة، وهذا على خلاف الكزازة والجفاف المعهودين غالباً في كثير من دروس النحو التقليدية وأمثلتها الصناعية المبتورة.

961/2، وسيد، رحاب فايز أحمد: نظم الحوسبة السحابية المفتوحة المصدر: دراسة تحليلية مقارنة، بحث منشور بالمجلة العراقية لتكنولوجيا المعلومات، بغداد، 2013م، مجلد 5، عدد 3، ص 23-25، وخليفة، زينب محمد حسن: الحوسبة السحابية خدماتها ودورها في العملية التعليمية، بحث منشور بمجلة دراسات في التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، 2015م، عدد 31، ص 515.

- تجاوز القنطرة البحثية الكؤود في هذه القضية، إذ تقتصر الدراسات هاهنا دائماً على اقتراح السياسات وإطلاق التوصيات والحث النظري للمؤسسات التعليمية والإعلامية المختلفة على التزامها والعمل بها. نحن هنا نتخطى ذلك كله لنقدم مشروعاً مؤسسياً كاملاً وواقعياً لمعالجة المشكلة.

نتيجة الدراسة:

تجتمع خيوط هذا البحث لنسج فكرة رئيسية وتقديم نتيجة مركزية هي: صياغة مشروع بناء منصة إلكترونية لإكساب المتلقي الملكة الإعرابية السليقية، وهي نتيجة أحسب أن البحث قد أفضى مطمئناً إليها. وقد أثمرت الدراسة بعض النتائج الإضافية الأخرى، من أهمها وأخلصها لها:

- تحويل دفة النظر التعليمي من محاولات تبسيط القواعد إلى إكساب الملكة الإعرابية.
- تقديم وصف تاريخي لرحلة السليقة العربية ومسالك الأولين في طلبها.
- صياغة بعض المصطلحات الوصفية الجديدة، مثل: محمية طبيعية للسليقة - انغماس لغوي افتراضي Virtual Linguistic Immersion - محمية سمعية Audio Shelter.
- اقتراح إنشاء مستودع رقمي ضخم للنصوص الأدبية العربية المسموعة، يمكن استخدامه لأغراض بحثية وتقنية كثيرة في غير موضوع المنصة. بقي تنبيه مهم أرجأته إلى الختام؛ هو احتياج هذا المشروع الاستراتيجي إلى دعم تمويلي ضخم؛ لما يتطلبه من بنية تحتية تقنية ومكتبية كبيرة ومن موارد بشرية خبيرة وغير ذلك، ومن أجل هذا أتمنى أن يقبض الله من المؤسسات والهيئات الكبرى من يتقبل هذا المقترح بقبول حسن فيعينني على تحقيق هذا

الحلم الكبير والخروج به إلى النور، وقد شرعتُ بالفعل في إعداد المخططات التفصيلية والتصوّرات الكاملة فيما يتصل بأقسام المنصة ومستودعها الرقمي وفرّق العمل المطلوبة وغير ذلك، إلى أن يأذن الله بما يشاء.

أهم مراجع الدراسة⁽⁶⁵⁾.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ): البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط7، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1418هـ/1998م.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر (ت 471هـ): دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، ط3، القاهرة: مطبعة المدني، وجدة: دار المدني، 1413هـ/1995م.
- الجمحي، محمد بن سلّام (ت 232هـ): طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، جدة: دار المدني، د.ت.
- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط4، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت.
- الحاج صالح، د. عبد الرحمن (ت 2017م): بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر: موفم للنشر، 2007م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ): المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ط7، القاهرة: دار نهضة مصر، 2014م.
- خليفة، د. زينب محمد حسن: الحوسبة السحابية خدماتها ودورها في العملية التعليمية، بحث منشور بمجلة دراسات في التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، 2015م، عدد 31.
- الدنان، د. عبد الله: نظرية تعليم اللغة العربية الفصحى بالفطرة والممارسة، الإمارات العربية المتحدة: المنتدى الإسلامي بالشارقة، ط1، 1435هـ/2014م.

(65) اقتصرْتُ هنا على أبرز المراجع فقط واكتفيتُ بتوثيق البقية في الهوامش، ولم أُشرِ أيضاً إلى المواقع الإلكترونية لكثرتها وتقدّم الإحالة إليها في متن البحث وهوامشه مع عدم الاقتباس منها أصلاً في مادة البحث.

- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت 379هـ): لحن العوام، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1420هـ/2000م.
- أبو سعدة، د. أحمد أمين: الحوسبة السحابية حلم المكتبات ودور الحكومات، ضمن أبحاث مؤتمر (الحكومة والمجتمع والتكامل في بناء مجتمعات المعرفة العربية) المنعقد بالدوحة، 2012م.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 581هـ): الروض الأنف، تحقيق: عمر السلامي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1421هـ/2000م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ): الاقتراح في أصول النحو، تحقيق: محمود فجال، ط1، دمشق: دار القلم، 1409هـ/1989م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ): تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مصر: مطبعة السعادة، 1371هـ/1952م.
- سيد، د. رحاب فايز أحمد: نظم الحوسبة السحابية المفتوحة المصدر: دراسة تحليلية مقارنة، بحث منشور بالمجلة العراقية لتكنولوجيا المعلومات، بغداد، 2013م، مجلد 5، عدد 3.
- شننوف، د. آمنة: تجربة عبد الله الدنان في الانغماس اللغوي، ضمن كتاب: الانغماس اللغوي بين التنظير والتطبيق، الجزائر: منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2018م.
- ابن عبد ربه، أبو عمر الأندلسي (ت 328هـ): العقد الفريد، تحقيق: مفيد قميحة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1404هـ.
- عبد اللطيف، د. محمد حماسة (ت 2015م): قواعد النحو وتعلم العربية، بحث منشور بمجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، مجلد2 عدد3، مارس 2017م.
- أبو عمشة، د. خالد حسين: الانغماس اللغوي في الأطر المرجعية العالمية للغات ونظريات اكتساب اللغة الثانية، ضمن كتاب: الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بين النظرية والتطبيق، لمجموعة مؤلفين، ط1، الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، 1440هـ/2019م.
- عياض، د. سليمة. وجراب، د. سعاد: الانغماس اللغوي ودوره في تعليم العربية للناطقين بها وغير الناطقين، ضمن كتاب: الانغماس اللغوي بين التنظير والتطبيق، الجزائر: منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2018م.

-
-
- الفارابي، أبو نصر (ت 339هـ): كتاب الحروف، تحقيق: محسن مهدي، ط2، بيروت: دار المشرق، 1990م.
- اللغوي، أبو الطيب عبد الواحد بن علي (ت 351هـ): مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، د.ت.
- منّاع، د. آمنة: الانغماس اللغوي ودوره في تحصيل الملكة اللسانية.. دراسة في أصوله العربية القديمة وتطبيقاته الحديثة (رسالة دكتوراه)، الجزائر: جامعة قاصدي مرباح بورقلة، 2017م.
- النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق البغدادي (ت 384هـ): الفهرست، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1430هـ/2009م.
- ياقوت، شهاب الدين بن عبد الله الحموي (ت 626هـ): معجم الأديباء، تحقيق: إحسان عباس، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414هـ/1993م.